

الموشحات في ديوان الجواهري دراسة في الموضوع والفن

م.م. مُنتَظِر جَوَاد كَاظِم

mntzer.kadhim.iku@atu.edu.iq

جامعة الفرات الأوسط التقنية/ المعهد التقني

م.م. حَسِين عَطِيَّة صَالِح

hussein.salehckm@atu.edu.iq

جامعة الفرات الأوسط التقنية/ كلية التقنيات الصحية والطبية

م.م. لَيْث حَسِين حَسَن

laithh.alelyawi@uokufa.edu.iq

جامعة الكوفة/ كلية الزراعة

المخلص

تَهْدَفُ هَذِهِ الدَّرَاسَةُ إِلَى تَسْلِيْطِ الضَّوْءِ عَلَى فَنِّ المَوْشَحِ الأَنْدَلُسِيِّ فِي دِيوَانِ شَاعِرِ العَرَبِ الأَكْبَرِ مُحَمَّدِ مَهْدِيِّ الجَوَاهِرِيِّ إِذْ نُحَاوِلُ فِي هَذَا البَحْثِ أَنْ نُبَيِّنَ مَدَى مَقْدَرَةِ الشَّاعِرِ الشَّعْرِيَّةِ فِي إِدْخَالِ وَنَظْمِ هَكَذَا فِي دَخِيْلِ عَلَى بَيْئَتِهِ الشَّعْرِيَّةِ وَهَلْ نَجَحَ فِي تَوْظِيْفِ هَكَذَا فَنِّ اللُّوْصُولِ إِلَى غَايَتِهِ وَأَهْدَافِهِ، وَمِنْ هُنَا جَاءَ هَذَا البَحْثُ بِوصْفِهِ مَحَاوِلَةً عِلْمِيَّةً جَادَةً لِبَيَانِ أَوْجِهِ التَّقَارُبِ وَالاخْتِلَافِ بَيْنَ مَوْشَحَاتِ الجَوَاهِرِيِّ المُنْتَوَعَةِ وَالمَوْشَحَاتِ الأَنْدَلُسِيَّةِ مِنْ حَيْثُ البِنَاءِ الفَنِيِّ وَالمَوْضُوعَاتِ الأَدْبِيَّةِ المُخْتَلِفَةِ وَمِنْ ثَمَّ نُحَاوِلُ أَثْبَاتَ مَدَى نَجَاحِ الجَوَاهِرِيِّ فِي اسْتِعْمَالِهِ هَكَذَا فَنِّ بَعِيدٍ عَنِ بَيْئَتِهِ وَلَوْنَهَا الَّتِي كَانَتْ تَتَمَيَّزُ بِهِ.

الكلمات المفتاحية: الجواهري، الموشحات، النجف، السياسة، الأدب الحديث، الأدب الاندلسي.

**Muwashahat in Al-Jawahiri's Diwan is a study in subject matter
and art**

Muntadher jawad kadhim

Al-Furat Al-Awsat Technical University /Kufa Technical Institute

Hussein Attia Saleh

Al-Furat Al-Awsat Technical University College of Health and Medical

Technologies/ Kufa

Laith Hussein Hassan

University of Kufa/ faculty of Agriculture

Abstract

This study aims to shed light on the art of Andalusian muwashah in the collections of the greatest Arab poet, Muhammad Mahdi al-Jawahiri. In this research, we attempt to show the extent of the poet's poetic ability to introduce and organize such an art that is alien to his poetic environment, and whether he succeeded in employing such an art to reach a goal It and its goals, Hence, this research came as a serious scientific attempt to show the similarities and differences between Al-Jawahiri's various stanzas and Andalusian stanzas in terms of artistic structure and different literary themes, and then we attempt to prove the extent of Al-Jawahiri's success in using such an art far from his environment and the color that characterized it.

key words: Al-Jawahiri, Muwashahat, Najaf, politics, modern literature, Andalusian literature

التمهيد:

الموشحات مفهومها ماضيها وحاضرها

أولاً: الموشح بين اللغة والاصطلاح:

جاء مفهوم الموشح باللغة العربية والمعجمات اللغوية من الجذري اللغوي لمادة (وَشَح) والوشاح هو ((شيء ينسج من أديم عريض يرصع بالمجوهرات، تشده المرأة بين عنقها، ويقال: وشاح، وإشاح، والجمع الوشح والأوشحة، ووشحتها توشيحاً، أي لبستها، وربما قالو: توشح الرجل بثوبه، وبسيفه))^١ وعلى ما يبدو أن الوشاح يمثل كل ما زر يتوزر به الرجل أو المرأة ليغطي بيها جسمه أو جسمها وهذا ما ذهب إليه ابن منظور (ت٧١١هـ) بقوله: ((حلي النساء كرسان من اللؤلؤ وجوهر منظومان ومخالف بينهما تتوشح المرأة به، وفيه اشتق توشح الرجل بثوبه))^٢ وعلى ذلك اجمع معظم أصحاب المعجمات العربية من إن الموشح هو أزار يتوشح به الشخص.

(١) تاج اللغة وصحاح العربية، ابي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري، ت٣٩٨هـ، مراجعة: محمد محمد ثامر، أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٩م، ١٤٣٠هـ، مادة (وَشَح)، ص١٢٤٧.

(٢) لسان العرب، ابي الفضل جمال الدين محمد مكرم ابن منظور الأنصاري، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية ٢٠١٠م، ١٤٣١هـ، الجزء الثالث، فصل الواو، حرف الحاء ص٤٧٣.

أما بالاصطلاح فقد اتفق النقاد على أن الموشح هو ((كلام منظوم على وجه مخصوص، ويتألف في الأكثر من ستة أفعال وخمسة أبيات ويقال له التام، وفي الأقل من خمسة أفعال يقال له الأفرع، فالتام ما أبتدأ بالأفعال والأفرع ما أبتدأ فيه بالأبيات))^(١).

ثانياً: الموشحات بين الحاضر والماضي:

يعد فن الموشحات من الفنون الجميلة التي أضفت على الأدب العربي بصورة عامة طابعا جمالياً، واقد اختلف الباحثون في أصول نشأته وتكوينه فمنهم من قال إنه نشأ في المشرق ثم انتقل إلى بلاد الأندلس؟؟ أم أنه اكتشف أصلاً في بلاد الأندلس. لكن على الرغم من ذلك فالمصادر الأدبية والتاريخية لم تترك هذا الأمر مركونا في زوايا التاريخ إنما وجدنا بعض الإشارات التي تعطينا بصيصاً من الأمل لمعرفة الجذور الأولى لنشأة هذا الفن الجميل.

وتشير المصادر الأدبية أن أول من أوجد هذا الفن أحد شعراء الأندلس واسمه الشاعر مقدم بن معاف القبري^(٢) استجابة لحاجة فنية ظهرت في ذلك الوقت أو ظاهرة اجتماعية تطلبت نشوء هذا النوع من الفنون. فالأندلسيين قد ولعو بالموسيقى، والغناء منذ قدوم زرياب عليهم حيث أشاع فنه الذي يتميز بنوع من اللحن، والغناء مما اضطرهم إلى إيجاد هذا اللون من الشعر^٣ وبذلك يكون فن الموشح ظهر نتيجة لحاجة العرب المسلمين في الأندلس إلى فن جديد يتناسب مع البيئة الأندلسية ليكون أنيساً لهم في غربتهم تلك.

وعلى ما يبدو أن للبيئة الأندلسية الجميلة وما تتمتع بها من جمال طبيعتها وعمرانها وفتياتها كان لها دوراً مهماً في ظهور هكذا نوع من الفنون إذ ذهب أصحاب النظرية الموسيقية في قضية نشوء الموشحات وشيوعها إلى انتقال الشاعر الزرياب من بغداد إلى الأندلس، فلزرياب دوراً مؤثراً في نقل الغناء العربي من المشرق إلى الأندلس، حيث جلب معه المغنيين ((فقد كانت لطريقة زرياب في الغناء سبباً في اختراع الموشحات مما دعا مقدم بن معاف القبري ومحمد بن حمود إلى ابتداء طريقة لنظم الشعر تضمنت المقطوعة منها عدة ألوان من البحور والقوافي إلا أن ناظمها شاعر واحد))^(٤). ومن ذلك نجد أن الموشح نشأ وترعرع في كنف بلاد الأندلس على يد الشاعر مقدم بن معاف القبري، والسبب في تعدد الآراء يمثل دلالة واضحة على سمو ورفعة هذا النوع الأدبي الجديد.

أما عن طريقة مجيء هذا الفن إلى بلاد الرافدين والمشرق العربي بصورة عامة، فقد اجمع النقاد إلى أن المحطة الأولى التي حط فيها الموشح رحاله هي بلاد مصر، فالدكتور شوقي

(١) دار الطراز في عمل الموشحات، سعيد ابي القاسم هبة الله بن جعفر بن سناء الملك (ت ٦٠٨هـ)، تح: الدكتورة جودة الركابي، دار الفكر للطبع والتوزيع، دمشق، ط ٢، ١٩٧٧م.

(٢) ينظر: مقدمة ابن خلدون، تح: د. علي عبد الواحد وافي، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٨م.

(٣) ينظر: الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة،

(٤) الموشحات الأندلسية من كنوزنا، الدكتور فؤاد رجائي، حلب، ١٩٩٤م ص ١٢٥.

ضيف والدكتور مصطفى عوض الكريم اجمعا على أن أبا الصلت الذي جاء من الأندلس ليسكن مصر هو الذي جلب هذا النوع إلى بلاد المشرق العربي^(١) ومن ثم انتقل من مصر إلى بلاد الشام عبر مجموعة من الوشاحين الذين قصدوا هذه البلاد ليكسبوا قوتهم، أمثال ابن النبيه (٦١٩هـ) الذي قصد بلاد الشام للزيارة واستقر فيها^(٢) أو من مجموعة من الشعراء الشاميين الذين ذهبوا إلى مصر واستوطنوا فيها أمثال شهاب الدين العزازي (٧١٠هـ)^(٣) وعلي ما يبدو أن هؤلاء الشعراء وأمثالهم ممن تنقلوا بين إصقاع البلدان العربية طلبا للرزق أو قصدا للحج والعمرة كان لهم الدور الأبرز في نقل الموشح إلى بلاد الشام. وبالطريقة نفسها انتقل الموشح من الموصل إلى البيئية النجفية، فما تحتويه هذه البيئية من مرادم مقدسة ومراكز علم جعلتها محطة أنظار الشعراء والأدباء والدارسين والفقهاء وقد استقبل أدباء النجف ضيفهم الجديد بما يليق به من ترحيب وحفاوة لذلك نجد أن أبرز الشعراء أمثال شاعرنا الجواهري والسيد موسى الطلقاني والشاعر محمد سعيد الحبوبى والشاعر مهدي حجي وأمثالهم من أعلام الشعراء في البيئية النجفية هم من كتبوا فيه وكان له حظا أوفرا في قصائدهم ويرى الباحث السبب وراء انتشار هذا الفن الجديد بالنجف يعود إلى سهولة الموشح والحرية في الانتقال بين بحوره وتنوع قوافيه مما أتاح له الشيوخ والانتشار بسرعة وسهولة .

المبحث الأول

موضوعات موشحات الجواهري

تميز شعر الجواهري بتنوع موضوعاته وكثرتها لكن يمكن إجمال أبرز الموضوعات التي كتب بها الجواهري موشحاته كانت الغزل والوصف والسياسة إذ عُدت هذه الموضوعات بمثابة المعين الرئيس لفن الموشح في شعر الجواهري ويمكن تفصيل القول في هذه الموضوعات كالآتي:

أولا: الغزل:

رأى ابن منظور الغزل بأنه ((حديث الفتيات والفتيان، ومغازلتهم محادثتهن ومراودتهن))^(٤).

وكما ذكرنا في الصفحات السابقة في صفات بلاد الأندلس، وطبيعتها الغناء، وجمال عمرانها جعلت نفس الشاعر الأندلسي تنفتح وتطيب مما تجعله يتغزل بتلك الصفات، فالغزل بتلك البلاد

(١) الموشحات والأزجال: مصطفى عوض الكريم، دار المعارف، مصر، ١٩٦٥م، ص ٦٧.

(٢) ينظر: الموشحات العراقية منذ نشأتها إلى نهاية القرن التاسع عشر د.رضا محسن القريشي، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة العراقية، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٨١م، ص ٩٥.

(٣) ينظر: الموشحات العراقية منذ نشأتها إلى نهاية القرن التاسع عشر، ص ٩٦.

(٤) لسان العرب، ابن منظور، الجزء الرابع عشر، مادة (غَزَل)، ص ٤.

يحتل مرتبه عالية من حيث الاهتمام وكثرة الشعراء الذين برعوا في ذلك القسم من الفن في موشحاتهم، وهذا ما أثبتته المؤلفات والكتب التي ذكرت شعراء تلك البلاد أما لو عدنا إلى بيئة الجواهري لوجدنا أن هذه البيئة لا تتيح للشاعر التغزل، أو كتابة قصائد في الغزل؛ والسبب يعود للالتزام الديني الطاغي على هذه المدينة، وخلوها من مظاهر الترف والفرح والغناء، والطابع الصحراوي الذي كانت تتسم به في ذلك الوقت إضافة إلى ذلك لا يمكن أن نغفل دور المقبرة الذي كان له أثراً كبيراً في نفسية المجتمع النجفي بصورة عامة والجواهري على وجه الخصوص وإذا بدا لشاعرنا انه قادر على قول الشعر لم تكن بيئته الدينية تسمح له ان ينصرف إلى ما ينصرف اليه الشعراء المبتدئون في العادة من حب المرأة والتغزل بها، وأين يرى من عاش مراهقته في أروقة النجف وفي بيت علم أن يرى المرأة لكي يعشقها ويتغزل^(١).

وقد أكد الجواهري ما ذكرناه سابقاً بقوله: ((حتى السابعة والعشرين من عمري لم يكن للمرأة ولا لشهوة من الشهوات معها وجود في قصائدي))^(٢). وخلص القول إن الجواهري خلال أيام حياته الأولى لم يكن للغزل نصيباً في قصائده؛ والسبب يعود لبيئته التي ترعرع بها ونشأ في كنفها، وقد جاء غزله بعدما غادر خارج نطاق المحافظة وانفتاحه على بيئات مختلفة اختلطت فيها ثقافات متنوعة حينها وجد الجواهري فرصته بغية التعبير عن مشاعره المكبوتة فكان لموضوع الغزل نصيباً كبيراً في قصائده المختلفة وكانت للموشحات الغزلية نصيباً أيضاً فقد وجدنا موشحات كثيرة اختصت بالغزل أمثال (شهرزاد وذكريات وفراق ووداع) حيث قال في موشحة (شهرزاد):

يا حبيبي وهذه النظرات

في مذاب الفتور منكسرات

والوجوه الحية الخفرات

والنفوس الفياضة الخيرات

والشفاه الندية العطرات

والشعور المتراسلات انسيابا

وجفون تستثقل الأهدابا

والأكف التي تذوب انجذابا

كل خصر بكل كف يلف

وشفاه على شفاه تلف

(١) ينظر: الجواهري دراسة ووثائق: محمد حسين الاعرجي، ص ١٣

(٢) ذكرياتي، محمد مهدي الجواهري، ج ١، ص ١٢٧.

وقلوب من صفوها تستشف^(١)

ولو نظرنا لهذه القصيدة سجد الشاعر يصف حبيبته الخيالية بالرقّة والجمال ويتحدث عن محاسنها ويصف نظرات حبيبته وشفيتها بانها ندية كزهور الصباح وشعرها ينساب كانسباب الماء في النهر ويصف رقّة جفونها وترافتها بانها تستثقل حمل أهدابها على ما تحمله من رقّة ونعومة فبدأ قصيدته بيا حبيبي ليلفت نظر القارئ والسامع لصفات حبيبته الاستثنائية التي سيذكرها بعد هذه اللفظة. ويرى الباحث أن كبت المشاعر المتركمة التي كان يعانها الجواهري في بداية نبوغه الشعرية ظهرت في قصائده بعدما خرج من بودقة النجف حيث تمكن من تفرغها من خلال الوصف الرائع الذي كان يصف بها النساء التي يلتقي بها أثناء تجوله في المدن المختلفة.

أما في الموشحة الأخرى (ذكريات) فقد وجدنا الجواهري يتوغل بالغزل الصريح لتصبح كلماته أشد عاطفية ورقّة فنجده يقول:

أمس أمس التقت هنا شفتان
كانتا من عجيب صنع الزمان
ذوب الدهر من مزيج الأمانى

فيهما من كل موحش ولطيف

وبليدٍ وحائرٍ وعصوف^(٢)

والملاحظ على هذه الأبيات أن الجواهري يصور وينقل لنا لذة لقائه الأول مع حبيبته (أنيتا) التي طالما تغنا بها في قصائده المختلفة فصور لنا شفيتها وكأنما لم ير مثلها أبد على مر العصور والأزمان وكأنهما من عجائب الدنيا، حيث جمعتا الحنان والقسوة والبرد والحر وكل متضاد فيهما وهذا التضاد هو السبب الرئيس من الذهول الذي أصاب الشاعر فالشفاه التي رآها أو قبلها قبل شفاه انيتا لم تحمل لذة هذه القبلة وعنفوانها وهذا ما قاده للتغزل بهذه الشفاه التي لم يرَ مثلها أبدا

ثانياً: الوصف:

ذكر الجواهري في صحاحه في بيان مفهوم الوصف قائلاً: ((وصفتُ الشيءَ وصفًا وصفهُ والهَاءُ عوضًا عن الواو، وتواصفوا شيء من الوصف، واتصف أي صار متواصفًا))^(٣). وقد ذكر

(١) ديوان الجواهري، ص ٤٦٦.

(٢) ديوان الجواهري، ص ٤٧٢.

(٣) تاج اللغة وصحاح العربية، أبي نصر بن حماد الجوهري ت(٣٩٨هـ)، تح: محمد محمد تامر، ٢٠٠٩م، حرف الواو مادة (وصف)، ص ١٢٤٩.

القدماء أن الوصف يمثل الأصل للأغراض جميعها فالغزل هو وصف لمحاسن المحبوبة والرتاء وصف لمحاسن المتوفي ومن هذا عُدَّ الوصف عماد الفنون الأخرى.

ومن خلال البحث في موشحات الجواهري في دواوينه المختلفة وجدنا أن الجواهري اشتهر بموشحتين اختصتا بالوصف الصريح، حيث وصف مدينتي باريس وفرصوفيا عند زيارته لهما وإعجابه بمدى تطورهما العمراني والحضاري. فقد وجدنا الجواهري يصف باريس في موشحة (باريس) قائلاً:

تعاليت (باريس) أم النضال

وأم الجمال وأم النغم

تذوب فوق الشفاه الألم

وسال الفؤاد... على كل فم

تضيع الحرارة بين والصال

وبين التناهي وبين الملل

كأنك شمسك بين الجبال

تغازل حين... تلوح القمم

وتبدو الغيوم لها من أمم

فتخفى كما يتخفى الندم^(١)

ففي هذه الموشحة نجد الجواهري منبهاً بجمال باريس التي دخلها أول مرة فالبنايات الشاهقة والتقدم العمراني والثقافي التي كانت تعيشه باريس أثرت في نفسية الشاعر مما دفعته للكتابة معجبا بتطورها وجمالها، لذلك نجده يسبغ عليها صفات العلو والكمال والجمال والثقافة التي تنسي من يدخلها كل الآلام والأوجاع والمآسي التي مر بها قبل دخول هذه المدينة. أما في الموشحة الأخرى (فرصوفيا) التي نظمها أثناء زيارته لفرصوفيا عندما حل ضيفاً على الجهات المسؤولة في المدينة عام ١٩٦٣م^(٢) حيث وصفها قائلاً:

فرصوفيا يا نجمة تلالا

تغازل السهوب والتلالا

وتسكب الرقة والدلالا

فوق الشفاه الظامئات الحاميات الحانية

وبين أهداب الجفون الغافيات الوانية

فرصوفيا يا ذات القطوف الدانية

من ذا يوافي سحرك الحلالا

وحسبك المدمر القتالا

(١) ديوان الجواهري ٤٥٦.

(٢) ينظر: ديوان الجواهري، ص ٧٠٩.

يجشم اللذة والأهوالا

حالان الأحلى أمر حالاً^(١)

والملاحظ على الجواهري في هذه الموشحة لم يبتعد كثيراً عما لاحظناه في موشحة باريس فالشاعر يدخل المدينة لأول مرة فيتأثر بها فينعكس هذا التأثير على مخيلة الشاعر ليخرج لنا نصاً أدبياً رائعاً تمتزج فيه مقومات الرقة الجمال مع الشدة والبؤس التي ما فتئت تنفك عن مخيلته فالطابع الديني ما يزال حاضراً في مخيلة الشاعر مهما بعد عن المكان فهو يصف فرصوفيا بأنها ذات قطوف دانية كقطوف الجنان الدانية.

ولم يقتصر الوصف عند الجواهري على المدن والبلدان التي يزورها، إنما تجاوز ذلك ليصف السهول والوديان الخضراء التي لم يرها في بنته الأم تلك البيئة التي تسودها الصحراء والكثبان الرملية والقبور القريبة على محل سكنهن لذلك نجده قد أفرد موشحتين لغرض وصف سهول مرّ بها هما موشحة (كاليجولا) و(وشاح من الورد) فكاليجولا هو من أشهر سهول العالم المعروفة بجمالها وخصوبتها وسحرها الأخاذ إذ يعد من مغاني سمرقند المتصف بأريجه الأخاذ ورياضه الفواحة^(٢)، إذ قال فيه:

كاليجولا حيثُ السماء نجوم
لازوردية... حيارى تحوم
في تخوم الدجي وحيث الليالي
حالمات... ينفثن سحر الخيال
وإذا (النبغ)... والندى... والرمال
وسفوح نشوانة... وتلال
وحقول... وصبية وغلال

يتنفسن... ياسميناً وورداً تصطبي جبهة السماء... فتندى^(٣)

وهنا نجد الجواهري يستعمل ذلك الأسلوب الرقيق في تقديم المعاني المناسبة للموقف الذي هو فيه، إذ قام بوصف هذا الوادي بكل عنوبة ورقة وكلمات لطيفة سهلة على اللسان والقلب ليخرج لنا صورة متكاملة فائقة الجمال لهذا الوادي البهيج، فنجومه مختلفة عن باقي نجوم العالم من حيث اللون والهيئة فلونها اللازوردي أعطاها رونقاً مختلفاً في دجي ليل ذلك الوادي، ومن ثم يتحول لذكر رمال الوادي وحقوله الخضراء اليانعة والصبايا المتناثرة في حقوله وكأنها أزهار متناثرة في الأرض.

(١) ديوان الجواهري، ص ٧١٠.

(٢) ينظر: ديوان الجواهري، ص ٩٠٤.

(٣) ديوان الجواهري، ص ٩٠٥.

أما في موشحة (وشاح من الورد) فلم يبتعد عن ساحة الإبداع التي عرفناها عنه في موشحاته المختلفة الأخرى، إذ قال فيها:

يغزل للفجر بيض الخيوطِ
والصبح إذا يسري مطالع البشر على النواحي
وريق القطر يحوك للزهر ثوب ارتياح
والكأس ملآن والشهب ندمان
بعض لبعض^(١)

والملاحظ أن جمال الطبيعة بصورها وهيئاتها المختلفة مثلت مصدراً رئيساً لحضور ذات الشاعر وتجلي أفكاره من خلال استشعار صفاتها الجميلة عبر حواسه المختلفة، إذ ينطلق النص عند الجواهري من تحديد مكاني معين يقع الاختيار عليه من قبل الشاعر وحده. وهذا ما لمسناه عبر موشحات الجواهري المختلفة.

ثالثاً: الغرض السياسي:

تعد الحقبة الزمنية التي عاشها الجواهري من أبرز الحقب وإهما على الصعيد السياسي والدبلوماسي، حيث شهدت هذه الحقبة الممتدة من ١٩٠٠م إلى ١٩٩٦م الكثير من الحروب والنزاعات السياسية على الصعيد الداخلي المتمثل بالعراق والصعيد الخارجي المتمثل بدول العالم المختلفة، وقد نالت النجف حظاً وفيراً من هذه النزاعات، والسبب يعود للموقع الجغرافي للنجف في خارطة السياسية، فقد مثلت هذه المنطقة في وقت من الأوقات مصدر القرار السياسي، والمشجع الأول للثورة على الظلم والعدوان، فكانت ثورة العشرين من أبرز مظاهر هذه المدة، ومن الطبيعي أن يكون للشعراء دور فاعل في تشجيع الثوار بقصائدهم الحماسية اللاهبة التي تحثهم على الثورة والوقوف أمام الظلم والعدوان وكذلك ذمهم للطغاة عبر قصائدهم المختلفة، وقد كان للجواهري نصيباً وافراً في هذه الثورات فلم يترك ثورة أو مظاهرة أو قضية سياسية إلا وكتبها فيها منتصراً للمظلوم على الظالم. ومن خلال البحث وجدنا عدة موشحات للجواهري تتضمن الغرض السياسي الثوري كان من أبرزها (وخزات، وعالم الغد، وظلام، وأيها الوحش إيها الاستعمار، وسلاماً عيد النضال) فهذه الموشحات كانت من أبرز الموشحات السياسية البحتة، فلو نظرنا إلى موشحة وخزات سنجدده يقول:

أشكو ضياعي ولكن أشكو من الحراس
ماذا جنته بلادي من كل هذا الغراس
أما أنا فبراسي لم يبق أي عطاس
لم يبق أي حراكٍ في قلبي النضاض

(١) ديوان الجواهري، ص ٨٦٩.

يا حاكمي يا خصيمي أقض بما أنت قاضي^(١)

فالشاعر يشكو ضياعه بسبب الحكام الذين عاثوا بالأرض فسادا، وظلما وبهتاناً فقد عانى الشاعر ومن معه من الثوريين أنواع الويلات، والتهميش، فيستفسر عما جنته البلاد من هذه الحروب وما الداعي من الدخول بهكذا حروب تقود الشعوب والبلدان إلى أزمتهم في غنى عنها، لذلك طالبهم بالعودة لطريق الصواب وينصفوا هذا الشعب المسكين من الظلم الذي عانوه بسبب تصرفاتهم غير المدروسة.

أما موشحة (عالم الغد) فنجد الجواهري أكثر حدة من السابق فالفاضه اختلفت لتصبح أشد قسوة وأسلوبه مال للعنف أكثر من التذمر فقد قال فيها:

غير ماس مجرمون وقاح
شرعو الظلم سنة وارتاحوا
وجرت - وفق ما أرادوا - الرياحُ
فإذا العيش سبة واجتراح
وجهود الأفراد نهب مباح
وهناء مفتاح الأبواب
للفايات من وحوش الغاب
يلعقون الدماء مثل الكلاب^(٢)

فمن القراءة الأولى لهذا الجزء من الموشحة نجد أسلوب الجواهري اختلف اختلافا جذريا في طريقة تقديمه هذه القصيدة فالسباب والكلام الجارح كان حاضرا بقوة في هذه الموشحة، ولعل السبب الذي قاده لهذا الكلام هو كمية السخط والخيبة التي كان يعيشها الجواهري، وكمية الحقد والغل الذي كان يحمله تجاه الحكام والقادة الفاسدين.

وكالعادة لم يتوقف الجواهري في حدود رقعته الجغرافية التي عاش فيها إنما ما فتئ يدافع عن المظلومين في أرجاء البلدان العربية، فلم تنحصر موشحاته ضمن الحدود العراقية والقضايا العراقية فقط إنما كتب موشحات تحدث فيها عن أحداث عالمية مختلفة فمثلا موشحة (أيها الوحش أيها الاستعمار) كتبها منتصرا للظلم الذي واجهه الشعب الكوري ضد الاحتلال الأمريكي فقد ((شرح شاعرنا بنظمها والحرب الكورية على أشدها أثر التدخل الأمريكي الاستعماري فيها))^(٣) إذ قال فيها:

أيها الوحش وما ازكى الوحوش تتحدى الجوع بالمفتريس

(١) ديوان الجواهري ، ص ٧٠٦.

(٢) ديوان الجواهري، ص ٨٧٣.

(٣) ديوان الجواهري، ص ٥١٣.

تغذني اطفالها فيما تنوش تحت استار الدجى والغلس
وتغذني بعضام ومشوش ونفايات الدم المنبجس
أيها الوحش الضروس المحتمي
بصفحات اللغى والمنطق
وبما شرعته من نظم
يختزي منهن وجه الورق^(١)

فالجواهري في هذه المقطوعة من موشحته شبه الطغاة بالوحوش الكاسرة المفترسة، بل زاد على ذلك وقال بأن هذه الوحوش لم تفعل فعلتهم إنما غريزتها الطبيعية هي الفتك من أجل العيش لا من أجل السلطة وسفك الدماء، فالحيوانات المفترسة أشرف وأزكى وأرفع من الدول الطاغية التي عاثت بالأرض فساداً وتجبراً. كل هذه الكلمات نقلها لنا الجواهري بأسلوبه الرائع المتميز بسهولة انسيابه للقلب وتغلغله بالمشاعر، فمسألة الدفاع عن المظلوم ونصرته ضد الظالم من أهم الركائز التي يستند عليها الشاعر إذا ما أراد لشعره ولأسمه الشيوخ والانتشار، فتصوير حال المستضعفين من سواد الشعب هو السبيل الرئيس لأثبات وطنية وحب وإخلاص الشاعر لأبناء وطنه، وقد كرر هذا المضمون في موشحة أخرى هي موشحة (سلاما عيد النضال) عندما قال:

سلاماً وراحت شعوب تثوب ويزحف غضبان حق سليب
سلاماً: وبالدم ضوت دروب
بها راح يتلو صليباً صليب
سلاماً وما انفك نوء يصوب
من الدم يخضب منه الجديب^(٢)

فالطريقة التي يصور بها الجواهري الشهداء والشعوب هي طريقة استثنائية تميز بها الجواهري عن سواه من الشعراء، فعلى الرغم من أن الغرض السياسي قد عولج من قبل كثير من الشعراء، غير أنهم لم يصلوا إلى ما وصل إليه الجواهري من اندماج تام جعله يختلط ببوتقة واحدة مع الشعب وتختلط دمائه بدماء شهدائه وكأن هذه الدماء المسفوكة تخر منه لا من الشهداء.

المبحث الثاني

الخصائص الفنية في موشحات الجواهري

أولاً: لغة الموشح:

اللغة هي ظاهرة اجتماعية مهمة إذ تعد من أهم الروابط والصلاة بين المجتمعات المختلفة و تدين بوجودها واستمرارها إلى التواجد الجماعي البشري. واللغة في تطورها تشبه الكائن الحي

(١) ديوان الجواهري، ص ٥١٤.

(٢) ديوان الجواهري، ص ٤١٧.

تولد وتتطور وتموت وتفنئ أيضا فهي متدرجة في نموها، متسلسلة في تطورها، وقد مرت بمراحل التطور والرقي حتى استوت واستقرت على هيئه منظومة متكاملة تحكمها قوانين لابد من المحافظة عليها والسير على نهجها. ففي بادئ الأمر كانت ((إشارات صوتية تشبه تماما التعبير الحيواني))^(١) ومن بعد هذا تطورت بسبب زياده الحاجه الإنسانية فأصبحت هذه الإشارات قاصرة في التعبير عما يحتاجه الإنسان فطورها لتصبح ((مجموعة من الرموز تكون نظاما متكاملًا))^(٢).

أما لغة الشعر تصنف ضمن المستوى الثاني لأنها تكون غاية عند الشاعر يهدف من وراء استعمالها التأثير الجمالي في المتلقي باختلاف أنواعه. إذ تمثل اللغة عنصر مهما من عناصر البناء الفني للشعر بصورة عامة بل هي ركن أساس من أركان العمل الأدبي، فالشاعر الماهر يجهد نفسه كل الجهد في بناء لغته بناء خاصا فيطورها ويدقق فيها لأنها أدواته التعبيرية التي يرتبط من خلالها بجمهوره.

وعليه فان الشاعر الماهر هو الذي يشحن لغته بدلالات جديدة وأنيقة تظفي عليها صفات جديدة تختلف عن صفاتها المعهودة لتبدوا بهذه الصفات الجديدة وكأنها نقطة إشعاع دلالي داخل البناء الشعري حيث تكون كل لفظة من الألفاظ بمكانها المناسب وبموضوعها الذي شاء ناظمها أن تقع فيه.

أما عن جمال اللغة الشعرية التي اقترنت بالموشح فقد قاسها بعض الباحثين بقدرة الوشاح على بعث الروح في مفرداته وعباراته ومنحها ذلك النغم الانسيابي الجميل الذي يثير في متلقيه عاطفة وانفعال، فقد أصبح ((جمال الموشح يقاس بقدرة الوشاح على أن تكون لكل كلمه في موشحته نغمة حلوة رشيقة وكأنما أعطتهم اللغة من نفسها كل ما تملك من نغمات وإيقاعات))^(٣).

ولا يخفى على القارئ أن لموشحات الجواهري لغة عظيمة كانت انعكاسا لثقافته الكبيرة وموسوعيته التي قل نظيرها بين الأدباء والشعراء، ومن خلال التتبع يمكن أن نسلط الضوء على الجوانب الجمالية في هذه الموشحات كالاتي:

أ: ألفاظ الجمال في موشحات الجواهري:

أن مؤشرات الجواهري تزخر بكثير من ألفاظ الجمال والرقه والأبداع فطالما كان يصف البلدان فيتغنى بسهولة الرحبة وعمرانها المنقدم ومواقعها الجغرافية والتاريخية، ويصف الحبيبة ويتغنى بمفاتها ويصور شوقه ولوعته أليها بألفاظ رقيقة عذبة. وعلى الرغم من ذكرنا سابقا أن البيئة

(١) اللغة والفكر، بول شوشنار، تر: صلاح أبو الوليد، دار المنشورات العربية، ص ٢٩.

(٢) مدخل في علم اللغة، د. محمود فهمي حجازي، دار الثقافة، القاهرة، ط٢، ص ٢٨.

(٣) في النقد الأدبي، الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة، ط٦، ١٩٦٢م، ص ١٥.

النجفي لن تتوفر فيها الأجواء الجميلة والطبيعة الغناء إلا أننا نلمس في قصائد الجوهري ألفاظ جميلة ورقيقة تتم عن إحساس مرهف ومشاعر جياشة عظيمة فلو نظرنا على موشحاته لوجدنا كثير من الألفاظ الجميلة التي لا تعد ولا تحصى ومن بعض هذه (الغدير، والأقاح، والعطر، والطير، والفراش، والنجوم، والأرض، والسماء، والنجس، والأغصان) وغيرها من الألفاظ الجميلة الرقيقة مرهفة الإحساس، فموشحة (شهرزاد) مثلاً نجده يصف حبيبته انيتا قائلاً:

أن وجه الدجى (انيتا) تجلى
عن صباح من مقلتيك اطلا
وكأن النجوم ألقين ظلا
في غدير مرقق ضخضاخ
بين عينيك نهبة للرياح
وغياض المروج أهدتك طلا^(١)

إذ لا يخفى على القارئ سهولة الكلمات ورصانة الأسلوب وانسيابيته على المسامع فقد وصف حبيبته بألفاظ مأنوسة رقيقة مصور وجهها وكأنه الصباح بطلته البهية وكأن المروج الخضراء اليانعة أهدتك إطلالة رائعة كإطلالتها البهية.

أما في موشحة (باريس) غنجه يقول:

تعاليت باريس أم النضال
وأم الجمال وأم النغم
تذوب فوق الشفاه الألم
وسال الفؤاد على كل فم

تضيع الحرارة بين الوصال

وبين التناهي وبين الملال

كأنك شمسك بين الجبال

تغازل حين تلوح القمم^(٢)

فالجوهري في هذه الموشحة يتغزل بتلك المدينة الرائعة ويصف شمسها وجبالها ويصفها بانها أم الجمال وأم الأنغام والموسيقى الرائعة، إذ نلاحظ ورود الفاظ الرقة والجمال في هذا الجزء من الموشحة بصورة كبيرة فالجمال والنغم والشفاه والوصال والغزل كلها الفاظ جميلة تدعو القارئ والمتمتع الى نوع من الراحة النفسية المنبثقة من هذه الألفاظ.

(١) ديوان الجوهري، ص ٤٦٤.

(٢) ديوان الجوهري، ص ٤٥٦.

ب: ألفاظ السياسة في موشحات الجواهري:

بعدها انتهينا من ذكر الجمال والرقعة في شعر الجواهري ننتقل في هذا الجزء الى جانب الحدة والقوة، فالشاعر الرقيق المرهف الإحساس يتحول إلى مناضل وسياسي فذ تارة، ويحارب من اجل قضيته وقضية بلده تارة أخرى، لذلك نجد مجموعة كبيرة من الالفاظ السياسية والايحاءات اللفظية التي تنكل بالقادة والسياسيين الذين طغوا في البلاد، ففي موشحة وخزات قال:

طيارة في بلادي تكفي لحل المشاكل
وحفنة من نضار تهد كل الهياكل
أصاحبُ الأمرِ يهوى شيئاً ونحن نجادل؟^(١)

ففي الطيارة دلالة واضحة إلى الحوادث التي حصلت في البلدان المختلفة والعراق بصورة خاصة التي استهدفت القادة والسياسيين، ثم قال في جزء آخر من الموشحة نفسها:

أشكو ضياعي ولكن اشكو من الحراس
ماذا جنته بلادي من كل هذا الغراس^(٢)

فالملاحظ على الشاعر كثرة التذمر والسخط من الحكام الفاسدين، لذلك نجده يعبر عن خيبة أمله عبر قصائده وما تزخر به من ألفاظ سياسية وإشارات توحى لما يريد إيصاله للجمهور والقادة السياسية بصورة عامة. وكثرة هذه المهاترات التي كان يقودها الشاعر عبر قصائده ضد السياسيين الفاسدين لم تترك له مجالاً للراحة والاستقرار، فقد ألقى القبض عليه أكثر من مرة حتى أن الروايات تقول إن موشحة ظلام وهي إحدى موشحاته السياسية كتبها وهو في معتقل أبي غريب، فقد اعتقلته السلطة الحاكمة آنذاك على أثر انتفاضة تشرين عام ١٩٥٢م^(٣)، وقد قال في هذه الموشحة:

يفجر من جنبات العصور
غباء الفسوق وعهر الفجور
وينسل مما تحيك الشرور

رداء يجللها أدكنا

به تتزين بنات الخنا^(٤)

فمن خلال هذه الألفاظ وغيرها نستنتج بأن الجواهري عاصر الواقع السياسي بدقائقه كلها وتدرج مع احداثه تدرجا واقعيا كان انعكاس هذا التدرج في ألفاظ موشحاته بصورة عامة، فهو

(١) ديوان الجواهري، ص ٦٠.

(٢) ديوان الجواهري، ص ٦٠.

(٣) ديوان الجواهري، ص ٥٤٧.

(٤) ديوان الجواهري، ص ٥٤٨.

يؤمن بالحرية واستقلالية ووحدة الشعوب وإيقاظها من السبات التي تعيشه وتخليصها من الاستعمار والظلم وعدم الرضوخ والخنوع للفساد والفاستدين؛ لذلك جاءت ألفاظه لتصب بهذا الجانب وتأجج الشعلة الصغيرة في قلوب الشعوب وتحولها لشعلة كبيرة تحرق الفاسدين والطغاة المتجبرين.

ج: التراكيب القرآنية

قد يبدو للوهلة الأولى أن تراكيب القرآن الكريم لا ترتبط بالموشح من بعيد أو قريب كون الموشح نشأ وسط بيئة تزخر بالطرب والغناء وهذا يتنافى مع ما جاء به القرآن الكريم، لكن بانتقال الموشح إلى البيئة العربية بدأت الألفاظ القرآنية تتداخل في بناء الموشح. فالجواهري مثلاً نشأ في بيئة تتسم بالالتزام الديني والطابع العقائدي المقيد بتعاليم الدين وهذا الالتزام أثر بكتابات الشاعر، فوجود الحوزة الدينية ومرقد الأمام علي عليه السلام أثرت بنفسية الشاعر وانعكست هذه الآثار على موشحاته فمثلاً موشحة (أيها الوحش أيها الاستعمار) نجده يقول:

ميز العرق وفاضل بالدم

وتساعد طبق عن طبق

وأمنح السادة رقم الخدم^(١)

فقد اقتبس من قوله تعالى: (لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ)^(٢)، وفي الموشحة نفسها نجده يقول:

ثم جند خلقه كالخدم

من حطام البشر المرتزق

خل من علمته بالقلم

رهن أيمن الخؤون الأحمق^(٣)

ليشير إلى قوله تعالى: (الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ)^(٤)، أما في موشحة يا أحباي نجده يقول:

لي فؤاد فيكم أن سعرا بلظى الشوق يقل: هل من مزيد؟

مشيرا في ذلك إلى قوله تعالى: (يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ)^(٥) والملاحظ من ذلك أن القرآن الكريم كان له أثرا واضحا في نفس الشاعر مما جعل آيته تظهر بقصد أو من

(١) ديوان الجواهري، ص ٤٢٢

(٢) سورة الانشقاق، آية ١٩.

(٣) ديوان الجواهري، ص ٤٢٢.

(٤) سورة العلق، آية ٤.

(٥) سورة ق، آية ٣٠

دون قصد من الشاعر في كتاباته^(١). وكذلك موشحة وخزات نجد الشاعر يشير إلى قوله تعالى: (إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا)^(٢) إذ قال:

ظننت ماء فلما سبحت سبحا طويلا

لم ألق إلا سرايا وساء وردا وبيلا

ومن خلال ما ذكرناه نتوصل إلى نتيجة مفادها أن الجواهري لم يغفل عن إدخال الألفاظ والإشارات القرآنية في موشحاته وقد انعكس هذا الإدخال إلى إضفاء طابع جمالي مميز في الموشحات.

ثانيا: الوزن والإيقاع:

١. الوزن:

يرى القدماء أن للوزن مقدرة على منح النص الشعري تلك السمة المميزة التي ميزته عن النثر وباقي الفنون الأدبية الأخرى إذ يعد من أعظم أركان النص الشعري وأجزائه، فهم لا يرون في الشعر شيئا مميذا أكثر من الوزن، بل ما يميز الشعر عن النثر هو وزنه وقافيته فقط^(٣)، وفي هذا الجزء من البحث ستكون دراستنا حسب البحور الأكثر ورودا في موشحات الجواهري وهي كالآتي:

أ. البحر الخفيف: فقد نظم الجواهري في هذا البحر ستة موشحات هي (شهرزاد، ذكريات، عالم الغد، كاليجولا، فراق، يانديمي) أما سبب كثرة موشحات الجواهري فيس هذا البحور فتعود إلى أن هذا البحر يجمع في طياته السرعة والامتداد والمواصله وكذلك فيه بطنًا ظاهرا عليهن وقد علل العروضيون ذلك بأن هذا البحر قد جمع بحرين في الأصل هما الرمل والرجز، فأخذ من الرمل الهدوء والانسيابية والاستقرار وأخذ من الرجز السرعة والخفة^(٤).

ب. البحر المتقارب: فقد استعمل هذا البحر في ثلاثة موشحات هي: (باريس، وداع، ظلام).

ج. بحر الرمل: نظم الجواهري في هذا البحر قصيدتين هما: (أيها الوحش أيها الاستعمار، يا أحمائي).

د. بحر المجتث: وردت أيضا موشحتان في هذا هما: (وخزات، لمي لهاتيك لما).

هـ. بحر الرجز: وردت موشحة واحدة للجواهري في هذا البحر هي: (أطفالي وأطفال العالم)

(١) هناك الكثير من الإشارات القرآنية في موشحات الشاعر أكثر من عشرين موضع لكن لا يسعني البحث لإيرادها جميعها لذا اكتفيت بهذا العدد لتكون شاهدا على ما ذكرته في تقسيم البحث.

(٢) سورة المزمل، آية ٧.

(٣) ينظر: موسيقى الشعر، ص ١٤.

(٤) ينظر: تطور الشعر العربي الحديث في العراق، ص ٢٣٧.

و. بحر المديد: وهو أقل البحور الشعرية التي وردت عند الجواهري، فقد ورد أيضا في موشحة واحدة هي : (أيها الأرق) والسبب في قلة استعماله يبدو عامة عند الجميع وليس عند الجواهري حصرا معلين ذلك بأنه ((قليل الورد نسبياً؛ لثقله على السمع))^(١).

٢. الإيقاع:

يرى الباحثون قديما وحديثا أن الإيقاع يسري في جوانب الحياة بصورة عامة فالطبيعة لها إيقاعها الخاص والعمل يتميز بإيقاع وكذلك الإشارات الضوئية، فهو امر مهم ولا بد منه في حياتنا كلها فلولا الإيقاع لما انتظم المسير ولم تنتظم حياتنا^(٢). ولولا الإيقاع لما انتظم النص الشعري فهو الذي يمنح النصوص الألفاظ تلك الانسيابية والرقة التي تنقلها من حالة الركود والفتور والهدوء الى حالة الهيجان والعنفوان العالي، أي انه يجعل الحياة تدب في النص الأدبي كما تدب الحياة في الجسد الميت، وقد تميز الجواهري بنبوغه الفني في هذا المجال وسنتطرق في هذا الجزء من البحث لأبرز المظاهر الإيقاعية الشائعة في موشحاته على وجه الخصوص:

أ. التكرار

هو من الظواهر الأسلوبية الشائعة في الشعر العربي إذ يعني ((إعادة ذكر الكلمة أو العبارة بلفظها ومعناها في مواضع أخرى غير التي ذكرت فيها لأول مرة بما يمثل ظاهرة في نص أدبي واحد))^(٣). وقد حرصت الجواهري دائما على إشراك المتلقي فيما يشعر به من انفعال وتوتر تجاه الموضوعات التي يعالجها في قصائده، من خلال جذب فكر السامع والقارئ إلى القصيدة بعدة وسائل، كان التكرار أبرزها.

فعلى سبيل التعبير نجد الجواهري في موشحة (يا نديمي) يستعمل تركيب يانديمي مائة وخمسة عشرة مرة ليكون هذا التركيب نقطة ارتكاز دلالي للقصيدة، ومنها قوله:

يا نديمي وصب لي قدحا وأعرني حديثك المرحا
يا نديمي وأمس ردّ ضحى قلت لي قول مشفق نصحا^(٤)

وعلى ما يبدو أن الغاية من تكرار أسلوب النداء هذا هو تجنيب السامع والقارئ من التشتت الذهني الذي يصبه بسبب طول القصيدة، وكذلك لإشاعة الجو النغمي المتوقع من التكرار. أما في موشحة (ذكريات) فنجده يكرر كلمة (أمس) إشارة منه إلى أن كل ما يتعلق بمعشوقته انيتا أصبح في أعداد الماضي الذي يستذكره الشاعر بحزن ولوعة، فقد أضفت هذه الكلمات نغما حزينا يغمر جو القصيدة بأكملها ومنها قوله:

(١) فن التقطيع الشعري والقافية، ص ٥٦.

(٢) ينظر: نظرية الادب، داستن دارين ورينيه ويلك، تر: محي الدين صبحين المجلس الأعلى لرعاية الفنون والأدب والعلوم الاجتماعية، ١٩٧٢م، ص ٢١٢.

(٣) ظواهر فنية في الشعر العربي الحديث، علاء الدين السيد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٩م، ص ٦١.

(٤) ديوان الجواهري، ص ٦٧٠.

هنا هنا مكانك أمس
هنا مس أمس رأسك رأسي
هنا أمس أمس ذوبت نفسي

في يبيس من الشفاه الضوامي
تتساقى من قلوب الدوامي^(١)

فقد كثف الشاعر هذا النغم الحزين ب مجموعة من التكرارات المتلاحق فقد كرر حرف السين في الموشحة أكثر من ١٨٣ مرة وكذلك كرر كلمة (أمس) أكثر من مرة وقد أسهم حرف السين مع الكلمة المكررة في تعزيز إيقاع القصيدة لتتلائم مع دلالة حدث الفقد لينقل لنا صورة حزنه ولواعجه تجاه محبوبته. أما في موشحه شهرزاد فنجده يكرر حرف التمني (ليت) أكثر من ٢٥ مرة ومنها قوله:

ليت أن عيشا يدوم
مثل هذا

ليت الشقاء سراباً

يرتعي المرء ظله ويهاب^(٢)

والحرف المشبه بالفعل (ليت) يخرج كما نعلم للشيء غير الممكن حصوله هو البعيد الحصول، فالشاعر يتمنى أن يعود الأمان والعيش الهانئ وان يبتعد الشقاء ويصبح سرايا وان يصبح النعيم سرايا باردا يشرب منه كل من تحتاج نفسه للنعيم والأمان.

ولا يتوقف التكرار عند الجواهر على كلمه فقط إنما يتعداه التكرار إلى الجمل والأساليب وفقاً لموضوع القصيدة ورؤية الشاعر المنبعثة من حالته الشعورية ففي موشحة (أيها الوحش أيها الاستعمار) مثلاً يكرر أسلوب النداء أيها الوحش ليدل على مدى سخط من الحكام والقادة الذين أذاقوا شعوبهم لوعات الحروب ومآسيه، إذ قال:

أيها الوحش اطل عهد الظلام

برر الجو بأسياط الطغام

تبعد الساعة عن موعدها

تبعث النغمة من مرقدتها^(٣)

فمن خلال تكرار هذا التركيب يفجر كل مشاعر الغضب من الحكام الذين لم يغيروا أي شيء من واقع المجتمع الذي يصارع الجوع والمرض كما أن تكراره لهذه العبارة يعمل على تأكيد المعنى وتثبيت نغمة الكلمات في ذهن السامع مع تلك النغمة التي تحمل في داخلها مشاعر الغضب والتوتر.

(١) ديوان الجواهري، ص ٤٧٠.

(٢) ديوان الجواهري، ص ٦٧٠.

(٣) ديوان الجواهري، ص ٥١٤.

ب: الجناس:

ذكر النقاد قديماً بأن: ((الجناس والتجنيس والمجانسة والتجانس كلها ألفاظ مشتقة من الجنس، فالجناس مصدر جانس والتجنيس تفعيل من جنس والمجانسة مفاعلة منه لأن إحدى الكلمتين إذا شابته الأخرى وقع بينهما مفاعلة))^(١)، فهو من الفنون البديع وله أهمية بالغة ومؤثرة في تلوين الموسيقى؛ نظراً لما يحدثه من اثر صوتي لدى السامع. وقد كان لهذا الفن نصيباً كبيراً في قصائد الجواهري بصورة عامة وموشحاته بصورة خاصة، ففي بادئ الأمر كان يتعامل مع الجناس على أنه زخرفة لفظية يراد بها تزيين القصائد كما هو حال الشعراء عصره، ولكن بعد نمو موهبته الشعرية وعلو كعبه في ساحة الأدب النجفي خاصة والعربي عامة بدأ الجواهري يجعل من الجناس غاية يقصده لمنح القصيدة جواً نغمياً يخفف من الرتابة التي تسيطر على القصيدة خاصة في مطولاته أمثال (يا نديمي) و(عالم الغد) التي ربما اشعرت قارئها بالملل نتيجة طولها وتوالي أبياتها ففي موشحة (عالم الغد) مثلاً نجده يجانس بين لفظتي (ضباب وتراب) في قوله:

عالم الغد: يا رهين ضباب

من دخان ونبثة وتراب^(٢)

فقد جانس بين هاتين الكلمتين جناساً غير تام ثم يعود في الموشحة نفسها ليجانس بين (عذاب وعذاب) جناساً تاماً عندما قال:

وهبات من الأمانى العذاب

وهي للكون سوط عذاب^(٣)

حيث أنها بالأولى وردت بمعنى العذوبة وفي الثانية بمعنى العذاب الذي يلي الحساب العقاب. ولو نظرنا في موشحة (وشاح من الورد) فقد حول الجواهري الجناس إلى عملية فنية يتظافر فيها كل من الصوت والدلالة لينتج عنها أبيات مفعمة بالحركة والموسيقى، ومنها قوله:

والشعرُ كالشعرِ في اللف والنشر فيه افتضاحي

والخد كالبدن كالشمس في الظهر والأفق ضاحي^(٤)

فقد جانس بين الشعر والشعر وهو جناس تام حيث يقصد بالأولى شعر الفتاة وفي الثانية أبيات الشعر ومن بعدها أورد جناساً غير تام في قوله افتضاحي وضاحي، وعلى ما يبدو أن الغاية من إيراد هكذا جناسات متعددة في الموشحة الواحدة هو شد انتباه القارئ والسامع للموشحة وعدم

(١) تاج اللغة وصحاح العربية، ابي نصر بن حماد الجوهري، (ت٣٩٨هـ) تح: محمد محمد تامر، ط٢٠٠٩، ص٨٨.

(٢) ديوان الجواهري، ص ٧٨١

(٣) ديوان الجواهري، ص٧٨١، وهناك جناسات أخرى في الموشحة نفسها مثل (مالي ومابي) و(الصلاح والفلاح) و(السمات والبسمات) لا يسعنا ذكرها بسبب حجم البحث ونوعه.

(٤) ديوان الجواهري، ص ٨٦٩.

تشتت ذهنه بعيدا، ونراه تارة أخرى يتحول إلى نغم صاخب يحمل في داخله تواتر شاعر وانفعاله وغضبه بحيث يكون الصوت باعثا على اهتمام القارئ نحو دلالة الكلمة وما تحمله من معاني كما في قوله في موشحات ظلام:

ظلام يفور ونجم يفور

وزنجي ليل يخيف الدهور^(١)

فقد جانس بين يفور ويغور جناسا غير تام لكسب النص تلك الجمالية التي تجذب القارئ له وتتشئ جسر تواصل بين القارئ والنص الأدبي الذي يجعل منها نقطة إشعاع داخل بناء الموشحة وبالتالي يعطي للنص الأدبي ديمومة في الساحة الأدبية.

ج : الطباق:

قال النقاد في الطباق هو: ((الاتفاق و طابقت بين الشئيين إذا جعلتهم على حذو واحد أو الزقتهما))^(٢) والطاق في شعر الجاهري عبارة عن مجموعة من الثنائيات المتناقضة التي تعكس ما كان يعيشه الشاعر من تناقض على سعيد مجتمعه الذي حفل بالتقلبات السياسية والاجتماعية والتي انعكست بدورها على شعره، والطاق في شعر الجاهري جاء ليخدم غايه في نفسه كما هي حال بقيه الأساليب فهو يسعى من خلال الطباق إلى إحداث نوع أو تنوع موسيقي عن طريق التغيير في التشكيلات اللفظية التي تضمن له نغمة جديدة في كل موضع، ففي موشحة (باريس) نجده يطابق بين الصعود والنزول في قوله:

فكل طوالها أسعد

على الحب تنزل .. أو تصعد^(٣)

فقد طابق بين النزول والصعود في هذا الجزء من الموشحة ثم يعود في المشحة ذاتها ليطابق بين المجيء والذهاب بقوله:

ونفحة عطر نكي تفوح

وصدر يجيء لصدر يروح^(٤)

(١) ديوان الجاهري، ص ٥٤٨، وكذلك له جناسات أخرى في الموشحة نفسها منها قوله:

يفجر من جنبات العصور

غباء الفسوق وعهر الفجور

فقد جانس بين العصور والفجور جناسا غير تام أيضا وهناك جناسات أخرى لا يسعنا ذكرها لضيق البحث.

(٢) معجم صحاح العربية، الجاهري، مادة (طَبَق) ص ٦٩٢.

(٣) ديوان الجاهري، ص ٢٤١.

(٤)

وهذا النوع من الطباق يسمى طباق إيجاب والملاحظ في هذا الطباق أن الشاعر استعمل اللغة العامية ومزجها بالفصيحة ليخرج لنا نصا أدبيا قل نظيره في الشعر العربي الحديث. أما في موشحه (يا نديمي) فنجده يطابق بين (الرشد والظلال) وبين (الجنوب والشمال) بقوله:

يا نديمي وقد رجعت لرشدي فوجدت الرشد المبينا ضلالا
وسرابا ما خلئتُ أعذب ورد وجنوبا ما قد حسبت شمالا^(١)

أما في موشحة (وداع) فنراه يطابق بين (الشجاع والجبان) في قوله:

يغير فيه الجبان الشجاع

أنيت لقد حان يوم الوداع^(٢)

وفي جزء آخر من الموشح يقول:

فتلك الظلال القباح اللطاف

وأشباحهن السمان العجاف

عناء الضمير وثقل السنين

وجهل المصير وعلم اليقين^(٣)

وهنا طابق بين (القبح واللطيف) وبين (السمن والعجف) وبين (الجهل واليقين) ليصنع حركة نغمية متوائمة مع موضوع الموشحة فقد الطباق وظيفه أخرى إضافة إلى وظيفته الدلالية وهي عمل تشكيلات صوتية داخلية تمنح البيت نغمة موسيقية خاصة فالشاعر يربط دائما بين المعنى الدلالي للألفاظ وبين موسيقى الألفاظ نفسها في علاقه فنية وثيقة تهدف إلى تكثيف الفكرة وتكريسها ومن ثم خلق جو من الانسجام النغمي على مدار القصيدة، وبناء على كل هذا نقول أن الجواهري نجح في توظيف الطباق مثل ما نجح في بقيه الأساليب الأخرى التي وردت في موشحاته بوصفه ظاهره دلالية بان ارتفع به إلى ظاهره إيقاعيه وان كانت بشكل اخف من الظواهر الأخرى.

خاتمة البحث ونتائجه

بعد توفيق الله لنا لإنجاز هذا البحث توصلنا للنتائج الآتية:

- حضور الموسيقى الداخلية بتشكيلاتها الإيقاعية من تكرار وطباق وتجنيس في مرشحات الجواهري لإفادة الدلالة مرة ولإشاعة التنوع الموسيقي مرة أخرى ولإظهار القدرات التعبيرية مره ثالثة.

(١) ديوان الجواهري، ص ٤٦٠.

(٢) ديوان الجواهري، ص ٤٤٧.

(٣) ديوان الجواهري، ص ٤٧٨.

- تميزت لغة شعر الجواهري بالحيوية والنفوس والقوة التي مثلت انعكاسا لشخصية الجواهري إذ يمكن للقارئ أن يشخص ويلمس الرقي الفني والجزالة في ألفاظ موشحاته، فالجواهري حاول أن يُدخل في شعره الكثير من القيم الاجتماعية والألفاظ والدلالات العميقة التي عبّر عن خلالها عما يدور في نفسه وقد مثلت هذه اللغة خلاصه تجربة الشاعر ورؤيته تجاه ما يحيط به من أوضاع وصراعات مختلفة دارت في حياة الشاعر.
- بروز الغرض السياسي بشكل لافت في موشحات الجواهري وهو موضوع جديد لم يعرفه الموشح سابقا، إذ برزت الموشحات السياسية في الديوان أكثر من غيرها من الموضوعات، لتثبت بذلك الأثر النفسي الذي انعكس على موشحات الشاعر.
- بروز التراكيب القرآنية في موشحات الجواهري وهذا ما يدل على انعكاس البيئة النجفية وأثر العائلة الدينية ودورها البارز في ظهور هذه التراكيب الجديدة على طبيعة فن الموشح الغنائية اللاهية الراقصة في أغلب أحيانها لكن الجواهري ادخلها وبشكل جميل ومنسجم.
- خروج الجواهر عن المعهود في طريقة تركيب الموشح من خلال إدخاله الألفاظ وجدناها في لمسنا فيه طبيعة جمالية وأساليب رقيقة والخاص سهله ومريحه على العكس مما سنجد في كل هذه الألفاظ أن الجواهري قد عاصر الواقع السياسي بكل دقائقه وتدرج مع الأحداث تدرجا واقعيًا وهذا ما أثبتته الألفاظ التي أوردها الشاعر في موشحاته إذ كان يؤمن بالحرية وعدم الرضوخ للسلطين والطغاة ويؤمن بالوحدة العربية وبضرورة إيقاظ الشعب العربي لتثور ضد حكامها الفاسدين.

قائمة المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم

- الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، د أحمد هيكل، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٨٥.
- تاج اللغة وصحاح العربية، أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، ت٣٩٨هـ، مراجعة: محمد محمد ثامر، أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٩م، ١٤٣٠هـ.
- تطور الشعر العربي الحديث في العراق اتجاهات الرؤيا وجماليات النسيج، علي عباس علوان، منشورات وزارة الإعلام العراقية، بغداد، ١٩٧٥م.
- الجواهري دراسة ووثائق: محمد حسين الأعرجي، مكتبة الفكر الجديد، ١٩٨٦م.
- دار الطراز في عمل الموشحات، سعيد أبي القاسم هبة الله بن جعفر بن سناء الملك(ت٦٠٨هـ)، تح: الدكتورة جودة الركابي، دار الفكر للطبع والتوزيع، دمشق، ط٢، ١٩٧٧م.
- ديوان الجواهري.
- ذكرياتي، محمد مهدي الجواهري، منشورات وزارة الثقافة العراقية.

- ظواهر فنية في الشعر العربي الحديث، علاء الدين السيد، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، ١٩٩٩م.
- فن التقطيع الشعري والقافية، د. صفاء خلوصي، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٦٦م.
- في النقد الأدبي، الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة، ط٦، ١٩٦٢م.
- لسان العرب، أبي الفضل جمال الدين محمد مكرم ابن منظور الأنصاري، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية ٢٠١٠م، ١٤٣١هـ.
- اللغة والفكر، بول شوشنار، تر: صلاح أبو الوليد، دار المنشورات العربية.
- مدخل في علم اللغة، د. محمود فهمي حجازي، دار الثقافة، القاهرة، ط٢.
- مقدمة ابن خلدون، تح: د. علي عبد الواحد وافي، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ط٢، ١٩٦٨م.
- موسيقى الشعر، د. حسني عبد الجليل يوسف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩م.
- الموشحات الأندلسية من كنوزنا، الدكتور فؤاد رجائي، حلب، ١٩٤٩م.
- الموشحات العراقية منذ نشأتها إلى نهاية القرن التاسع عشر د.رضا محسن القرشي، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة العراقية، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٨١م.
- الموشحات والأزجال: مصطفى عوض الكريم، دار المعارف، مصر، ١٩٦٥م.
- نظرية الادب، داستن دارين ورينيه ويلك، تر: محي الدين صبحين المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ١٩٧٢م.